كلمة السيّد جاك شيراك
رئيس الجمهورية الفرنسية

بمناسبة حفل إحياء الذكرى الثانية
لمقتل المغفور له رفيق الحريري
***
معهد العالم العربي
نهار الإثنين 19 فبراير/شباط 2007 الساعة السادسة والنصف مساءً

العزيزة نازك الحريري
سيّداتي سادتي،
أيها الأصدقاء الأعزاء

شكراً لحضوركم هذا المساء لقاء الذكرى والوفاء.

لقاء الذكرى، لان هناك آلاماً لا تزول. ما زلنا نرى رفيق الحريري. وما زلنا نسمع صوته. بعد سنتين من اغتياله الذي أذهل العالم والذي لم ننته بعد من تقدير نتائجه التي لا تحصى، لم يملأ شيء الفراغ الذي تركه غيابه ولا أزاح الحداد الذي لا نزال ملتحفين به.

لقاء الذكرى والوفاء أيضاً لأن عاطفة رفيق الحريري تشعّ حتى اليوم في قلب أسرته وأقاربه وأصدقائه. إن إرث رجل الدولة صاحب الرؤيا، الثابت في مشاريعه، الحذر والنبيه في مساعيه، لا يزال ولحسن الحظ كاملاً. إرث يفرض واجباً أخلاقياً وسياسياً يقضي بإتمام الهدف الذي من أجله ضحّى بحياته : لبنان سيّد ومستقل ينشر تنوّعُه النابع من حرّية الاختيار، نموذجه في أزمنة الجنون الإجرامي التي نعيشها، في عالم يتربّص به صدام الجهالات.

منذ بضعة أيام في بيروت، بدا الزمن معلّقاً وتلاشت ظلال التمزّق فتواصل اللبنانيون في تآخي الذكرى. جاء دورنا اليوم.

على مرّ السنين، تنجلي صورة رفيق الحريري في كلّ أبعادها. كانت خصائله الإنسانية بحجم مواهبه كرجل دولة. ولأنه كان ينصت تلقائياً للآخرين، ازداد تأثرّه بالبؤس والضياع والألم. كان نبيل القلب، حارّ الاتصال، ثابتاً في الصداقة. كانت شجاعته وثباته ونشاطه تزيل العقبات. وكانت قوّة الإقناع لديه تسري إلى محاوريه. بقربه كان يشعر المرء أنه هو نفسه كبير.

لقد وضع هذا الإنسان الفذّ جميع المواهب التي كانت تميّزه في خدمة هدف طموح. لأنه شاهد بأسى أهوال الحرب قطع على نفسه وعداً بأن يجعل من لبنان مجدّداً ملاذ التسامح وواجهة الحداثة، تلك الميزتان اللتان صنعتا سمعته التاريخية.

أولاً إعادة الإعمار، بتلك الذهنية الخلاّقة التي يشهد عليها وسط بيروت وجميع المنشآت الأساسية التي يجب الآن مع الأسف إعادة بنائها. ثانياً التربية، لكي يؤدّي فتح أبواب المعرفة للشباب اللبناني من جميع الفئات والطوائف إلى إزالة المخاوف وأوجه عدم التفاهم والأحقاد التي مهّدت للحرب. وأخيراً إرساء تقليد يكون قدوة في المنطقة، لكي يتحوّل الشرق الأوسط ويحقق جميع وعوده على غرار لبنان المتصالح مع نفسه.

قد تبدو كلّ هذه الطموحات غاية في الجرأة. لكنها تدلّ على الفكرة العظيمة التي كوّنها رفيق الحريري عن بلاده وعن الألم والذلّ اللذين كان يشعر بهما وهو يرى بلده رهينة جيرانه، وكبش المحرقة الذي يتبادلون ضرباتهم على ظهره بدلاً من التجرّؤ على توجيهها إلى بعضهم البعض. إن رفيق الحريري، بمطالبته جهاراً بلبنان السيّد والمستقلّ والحرّ والديمقراطي، أعاد إلى اللبنانيين كرامتهم وعزّتهم. وإن الضربة التي وُجهت له إنما كان القصد منها أيضاً النيل من شرف شعب.

لقد اغتيل رفيق الحريري، والجرح لنا جميعاً من أهل وأصدقاء لا يلتئم. ستحدّد محكمة دولية المسؤوليات وتُحِلّ العدل. لكن المجرمين بقتلهم الرجل لم ينجحوا إلاّ بتعزيز صدى رسالته. تحت وطأة تلك المحنة الأليمة هبّت مع ربيع بيروت رياح التغيير. فإذا بشعب أرادوا إسكاته يتحرّك بقيادة جيل جديد من الزعماء على رأسهم سعد الحريري، الذي استلم الشعلة التي هوت من يد أبيه. فاستفاقت الأسرة الدولية بعد أن نبّهها انبعاث شعب يريد الحياة.

انسحبت القوات السورية وجرت انتخابات حرّة وشكّلت حكومة وحدة واسعة حاولت مواجهة التحدّيات.

لكن حرب هذا الصيف جاءت لتكبح تلك الدينامية وتُغرق البلد من جديد في أزمة حادة.

اليوم ومع الأسف، يلوح شبح الفتن والمواجهات من جديد ويلقي بظلاله المهدّدة فوق لبنان. إن تصاعد التوتر في المنطقة يزيد من حدّة الانقسامات الداخلية ويوقظ التدخّلات الخارجية. لا أحد يريد أن يعيش هذا الكابوس من جديد كما تدلّ على ذلك رسائل التهدئة والمساومات القلقة. غير أن جميع العوامل جاهزة لكي تقع البلاد في المنزلق القاتل، إذا لم يعبئ اللبنانيون جهودهم.

في هذه الظروف الصعبة تشكّل رسالة رفيق الحريري معلماً لجميع اللبنانيين، كما كانت البارحة بمثابة رقيب في الزوبعة. هي تعلم إن اللجوء إلى القوّة يبقى أسوأ الحلول دائماً وأنه مهما كانت المشكلة مستعصية لا بدّ إلاّ أن تحلّ بالتفاوض، وأن الحوار وحده يستطيع إزالة العوائق. كما تذكّر بأن الديمقراطية هي الإطار المميّز حيث تتلاءم المصالح وتتصالح الذاكرات وتُصهر القيم المشتركة. أمانة لرفيق الحريري، أدعو اليوم جميع اللبنانيين للعودة إلى طريق الوحدة حول المصالح العليا للبلاد، وطنهم جميعاً.

يجب أن يتذكّر لبنان في خضمّ القلق الذي يغمره أنه ليس وحده. ففرنسا تربطها به علاقة استثنائية سوف تستمرّ في جميع الأحوال. منذ بضعة أسابيع في باريس وقفت الأسرة الدولية بالإجماع إلى جانبه وتنافس الجميع لكي يعربوا للحكومة الشرعية وللأغلبية التي تساندها عن تقديرهم وثقتهم واستعدادهم للمساعدة. في هذه الأجواء المميّزة، راود المرء حلم : لو وظّف هذا الاندفاع التضامني الدولي ليتفاهم اللبنانيون، يا لها من نهضة يمكن تحقيقها !

اليوم رفيق الحريري غائب عنّا ونبقى بلا عزاء. لكن هدفه مستمر. وتعود الأولوية لعائلته في التعبير عن تصميمها على تحمل هذا الهدف ببقائها متضامنة وموحّدة كما تمناها رفيق ويتمناها أيضا.